التداخل النصي في النثر الأندلسي (كتاب دُرر السّمط في خبر السّبط لابن الأبّار أنموذجاً)

م . مها هلال محمد موسى آل أحمادي

جامعة ذي قار/ كلية الآداب

الملخص

يعد كتاب دُرر السمط في خبر السبط من المؤلفات المهمة لابن الأبار الأندلسي ، والذي يعد وثيقة هامة تُضاف إلى رصيد المكتبة الشيعية الأندلسية ، حاول البحث أن يتناول قضية التداخل النصي أو التناص بمعنى آخر ؛ لأهميته في الدراسات الحديثة أذ نستطيع من خلالهِ أن نطلع باعتبارنا باحثين أو مُتلقين على تلك الملكة والقدرة وحالة التمكن في ربط الأحداث مع بعضها من خلال ذلك الرصيد الضخم الذي يمتلكه المؤلف ، ويحاول به من حيث لا يشعر أن يتداخل به مع موضوعاته المختلفة والتي صبت جميعها في خدمة وإبراز القضية الشيعية .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله واسع النعم ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين

أما بعد :-

يعد كتاب دُرر السمط في خبر السبط من الكتب القيمة ، التي أنماز بها النثر الأندلسي لمؤلفه ابن الأبار البلنسي الأندلسي 595هـ ق – 658 هـ ق (1199 – 1260) ، والذي يعد مثالاً حياً وأدباً رفيعاً على ظاهرة هامة في تاريخ النثر الأندلسي ألا وهي ظاهرة التشيع .

تناولت في بحثي الموسوم بعنوان (التداخل النصي في النثر الأندلسي كتاب دُرر السمط في خبر السبط لابن الأبار أنموذجاً) ظاهرة التداخل النصي الذي يعد قضية مهمة تعكس الحالة الثقافية التي يتمتع بها الأديب ، وتكون دليل واضح على سعة الاطلاع والبحث والقراءة والربط بين الأحداث أذ أن ظاهرة التداخل ليست مجرد تعالقات نصية ، أو تناصات أو ميتناصات أو تداخلات بين نص لاحق ونص سابق له ، بل هو فن ليس كل من يحاول أقتحامه والغور فيه يستطيع الفوز ، فهو ليس أرتباطات عفوية يتقصدها الأديب لعكس حالة ما ، بل هو فهم وفهم عميق لمدلولات أعمق ، وهذا ما سنراه على صعيد بحثنا أن شاء الله تعالى . كما تضمن البحث تنظيراً لمفهوم التداخل النصي والتداخل في مفاهيمه وأجرآته النقدية ، كما تضمن البحث ملخصاً باللغة العربية واللغة الأنكليزية شكلا أضاءة بسيطة للمطلع على البحث عن بعد .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

توطئة

يعد التداخل النصي ظاهرة مهمة في القد العربي الحديث ، وقد تعددت مفاهيمه بغية الوصول الى مصطلح دقيق له ، من هذه المفاهيم التناص والتفاعل النصي والتعالق النصي والمناص والمصاحبات النصية والتناصية والمتناص

والمتعاليات النصية وهذه المفاهيم متداخلة مع بعضها (1) .

وقد عُرف على انهُ ((فُسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة وممتص لها يجعلها من عندياته ، وتبصيرها مع فضاء بنائه ، ومع مقاصده ومحول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها أو بهدف تعقيدها)) (2) ، وهو أي التداخل لايقتصر على مسألة المصدر أو التأثير ، فالنص حقل عام من تراكيب مقفلة ، من النادر أدراك أصلها ومن اقتباسات غير واعية أو ألية تقوم بين مزدوجين . (3) ، وهو يعمل ((كرابطة ثقافية ، ينبثق من كل النصوص ، ويتضمن ما لا يحصى من النصوص ، والعلاقة بينه وبين القارئ للنص هو ما يمنح النص خاصيته الفنية)) (4) .

ويعرف التداخل النصي على أنهُ ((ظاهرة مُشخصة لكل خطاب ، وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حي ، يُفاجيء الخطاب خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئاً سوى الدخول معهُ في تفاعلٍ حاد وحي)) (5) ، وهو ((نقطة التقاء عدد من النصوص الذي هو في الوقت نفسهُ أعادة قراءة لها وتثبيت لها وتكثيف لها وانتقال منها وتعميق لها)) (6) ، وهو مجال عام للصيغ المجهولة ، التي نادراً ما يكون أصلها معلوماً لأستجلابات لا شعورية عفوية)) (7) ،وأياً كانت توجهات هؤلاء النقاد في تحديد مصطلح التناص ، فهـــــو عملية تحددها ثلاثة أطراف (المؤلف والنص والقارئ) ، فالبنية الثقافية والمعرفية للمؤلف هي التي تحدد شكل تعالق النصوص ، والنص هو الأثر الناتج عن ذلك التعالق ، ويأتي دور القارئ في تفكيك النص إلى نصوص مختلفة)) (8) .

تكمن أهمية التناص في كونهِ يبرز دلالة النص ، ويعيد أنتاجها بصورة فنية جديدة ، ولا سيما أذا كان النص يتعالق مع فن آخر ، فضلاً عن أنهُ يوظف مشاهد وصور وأيقاعات النص السابق في النص الجديد ليكسبه دلالة سايكولوجية معينة ، ويبرز التأويل آلية لتحصيل الدلالة النهائية للنص ، أذ يخضع النص في هذه الحالة إلى تعدد في القراءات بحسب أجتهاد القارئ وألى تعدد في الدلالات تبعاً لذلك . (9)

في النتيجة الأخيرة نقول أن التداخل النصي ليس مصطلحاً حديثاً ذا منشأ غربي ؛ بل يعد سُنةً متبعة في النقد العربي القديم ، وهناك الكثير من المصطلحات التي تشير له بطريقة أو أخرى منها مصطلح الأخذ والتضمين والسرقة والترقيع والتلفيف وأجتذاب الكلام ، الأ أنه ظاهرة التناص أو بمعنى آخر التداخل النصي أشمل وأعم .

من خلال العرض الذي عملنا عليه أبتدآءً ، نحاول تطبيق ذلك على كتاب دُرر السمط في خبر السبط لابن

الأبار كأنموذجاً يمثل هذه الظاهرة الحية والمهمة ، من ذلك ما رواهُ ابن الآبار في مقدم مُسلم أبن عقيل أبن أبي طالب أبن هاشم ، وهو ابن عم الإمام الحسين عليه السلام عندما أرسله الإمام عليه السلام إلى الكوفة ، لكن عبيد الله بن زياد بن أبيه عمد إلى قتلهِ ، هذه الرواية من لدن ابن الآبار كانت مُسندة بشواهدٍ شعرية يقول :- (10)

قدّم مسلم بن عقيل فأُسلم لعبيد الله بن زياد والدنيا إلا على الدناءة صعبة الانقياد .

تفانى الرجال على حبها

وما يحصلون على طائلِ (11)

جيء به يقاد إليه ، وقد خذلتهُ الشيعة الملتفة عليه ، بعدما ابلى في القتال عذراً ، وأرتجز لا يستشعر ذعراً :

أقسمتُ لا أُقتل إلا حراً

أخافُ أن أُكذبَّ أو أُغرا (12)

فَغُرّ كما خاف وكُذِّب ثم جُرَّ إلى مصرعهِ وسُحِبَ .

إذ ربط مقدمة الحديث بهذا التداخل الذي أخذه من أبي الطيب المتنبي ، إذ أن كل شيء يُرغب في هذه الدنيا الدنية ، ويحاول الرجال التفاني في سبيل الحصول على شيء منها ، ولكنها تأخذُ ما تعطي وتُهدم ما تبني ، فمهما حاولوا لا يحصلون منها على شيء أبداً ؛ لأنها زائلة لا محالة .

ومن الملاحظ ابن الآبار عندما تناص مع الارتجال الذي قالهُ مسلم بن عقيل عليه السلام فأنه أخذ الصدر من البيت الأول والعجز من البيت الأخير ، وفي هذا ملاحظة وحُسن اختيار إذ ناسب العجز الذي اختاره تكملة حديثهِ عندما أكمل قائلاً ، فغر كما خاف وكذب ثم جر الى مصرعه وسحب .

ويتابع ابن الآبار هذا المشهد المأساوي لمقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة الذي أوى مسلماً وأجارهُ وقاتل دونهُ حتى قُتل سنة 60 هـ قتلاً وغدراً يقول :- (13)

وثنى بأبن عروة وهاني ومالشأنيهما الكريمين من شانئ ، فعفّرت لمُتُه وأخفرت ذمتهُ وهو الذي رجح تجارتهُ فهنيئاً له ما أربح تجارتهُ .

هذا التصوير للمشهد ، حاول ابن الآبار أن يُردفهُ بتصويرٍ آخر لمتكلمٍ آخر واصفاً الموت لمن لاتدري ما

الموت ؟ وهو سؤال أستنكاري أستفزازي يحاول الإجابة عنه ابن الأبار في التناص مع عبد الله بن الزبير الاسدي من قصيدة له ، أستلهم منها البيت الأول والثالث كي تتضح الصورة المفجعة للموت يقول :-

أن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هانئٍ في السوقِ وابن عقيلٍ

تري جسداً قد غير الموت لونهُ

ونضح دمٍ قد سال كل مسيلٍ (14)

من تداخلاته الأخرى مُتناولاً شخصية السيدة خديجة عليها السلام بقوله :- (15)

خُلدت بنت خويلد ليزكو عقبها من الحاشر العاقب ويسمو مرقبُها على النجم الثاقب ، لم تخد بمثلها المهارى ، ولم يلد له غيرها من المهاري ، آمت من بعولتها قبلهُ ، لتصل السعادة بحبلها حبلهُ ، ملاك العمل خواتمهُ ، وربَّ رُبَّاتَ حجالٍ أنفذ من فحولِ الرجال .

فخُلود السيدة خديجة عليها السلام سمو مكانتها مرتهن بأرتباطها بسيد الأولين والآخرين النبي محمد ((ص)) ، ومع أن السيدة خديجة عليها السلام كانت متزوجة قبل الرسول ، لكن هذا لم يؤثر عليها أبداً ؛ لأن ملاك العمل بخاتمته ، وما دامت خاتمتها مع رسول الله ﷺ فقد فَازت في الدُنيا والآخرة . هذا الحديث يعقبهُ إشادة كبيرة بالنساء فرب ربات حجال أنفذ من فحول الرجال ، هذا القول أسنده ببيت لأبي الطيب المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة الحمداني يقول فيه :-

وما التأنيثُ لأسمِ الشمسِ عيبٌ

ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ (16)

فالتأنيث لا يُسلب الشمس نورها وجمالها ، والتذكير لا يعطي الهلال فخراً .

من أمثلة تداخلاته الأخرى ، أذ يبدأ فصلهُ العشرين بقسم يتبعهُ خُلاصةً للإمام الحسن عليه السلام وفي هذا دلالة على ذكاء وانتقاد من قلبه اذ انه رفدنا بنتيجة مسبقة لما مرَّ بهِ الإمام الحسن عليه السلام اذ قال :- (17)

تالله ما غاية القبيح إلا ما عومل به الحسن .

أتته الخلافةُ مُنقادةً

إليهِ تُجرجر أذيالُها (18)

مقتنياً أياه من ديوان أبي العتاهية ، مع أن الموضوع يختلف والشخص المكتوبة فيه هذه القصيدة آخر ، إلا أنهُ أستفادَ تمام الاستفادة من هذا التناص المباشر مع الشاعر ، وهي تحكي قصة كيف أن العروض السياسية تكاثرت من أجل أنْ يتسلم الإمام الحسن عليه السلام الخلافة في وقتها ، ولكنهُ تخلى عنها لغايةٍ في نفسهِ ومع ذلك لم يتخلص منها .

يتابع ابن الأبار فصلهُ بتناص شعري جديد من شاعر شيعي يقول فيه : –

تعزُ ، فكم لكَ ، من سلوةٍ

تفرج عنك غليل الحزن

بموتِ الرسول وقتل الوصّي

وقتل الحُسين وسمِّ الحسن (19)

في هذا التعالق النصي ، يجمع ابن الابار أربع مصائب لأهل البيت تتلخص بموت الرسول (ص) وقتل الوصي (ع) وقتل الحسين عليه السلام وسم الحسن عليه السلام متسائلاً فكم لك من سلوةٍ ، ومهما أمتلك المؤمن فلا يستطع أن ينسى ما جرى وما حدث لهم عليهم السلام ، أن نزول السورة المباركة المائدة عامةً والآية ((والله يعصمك من الناس)) (20) خاصةً مرتبط أشد الأرتباط بسورة سمِّ الذراع (21) التي هي من صُنع البشر ، تلك الحادثة التي روتها كتب السيرة مَفادُها أن زينب بنت الحارث أمراة سلام بن مشكم أهدت رسول الله شاة مشوية بعد أن عملت على سمِّها وأكثرت السمّ في الذراع ؛ ذلك أن الرسول كان يحب أكل الذراع ، فعندما أكل منها الرسول ﷺ قليلاً حتى علم بالسم فيهِ وبقي أثرها فيه ﷺ حتى أدت الى وفاتهِ ﷺ .

يُتابع ابن الأبار قولهُ في هذه الحادثة بقولهِ :– (22)

سارت سورة سم الذراع تسلم من التسليم والوداع ، ناكصةً على العقبِ (كاد تميز من الغيظ) خائفة أن

تعيرها يهود كونها ليست لها نهود .

هذا يؤكد الخزي والخوف والغيظ الذي لحق هذه المرأة التي حاولت أن تؤذي رسول الله ﷺ بهذا السم ، مع العلم أن محل النبُّوة لاتمس بأي سوء مهما حاول البشر أن يتجاروا فالله سبحانه وتعالى يدافع عن حياة الرسول ؛ لانهُ ﷺ مأمور بتبليغ الرسالة يقول : – (23)

وما كان محل النبوة لتحله الأسواء ولا تتحول بأيدي البشر تلك الأضواء .

((يريدون ليطفئوا نور الله بأَفواههم والله متم نورهُ)) (24) وهذا التناص القرآني المباشر يؤكد ما ابتدأهُ ابن الأبار مسبقاً ، لكن النص القرآني مصدر ألهام للذات ، تتفيأ ظلال لغته ، وتتأمل في حضرة الكلام الألهي وتنهل من ينابيعهِ المختلفة ، وتتزود ما شاء الله لها من اعجازه ، وتنوع اساليبه ، واختلاف إشارته ، ووفرة متطلباته (25) .

ثم يطرق ابن الأبار قصة بنت الأشعث ، التي هي كناية عن جُعدة بنت الأشعث زوجة الأمام الحسن عليه السلام المتآمرة على قتل الأمام عليه السلام بإيعاز من معاوية ، فهذه الحادثة عادة الأذهان إلى الحادثة الأولى (حادثة سم الذراع) يقول :– (26)

فعندما قبلت بنت الأشعث ما بعث لها من السمِّ من بعث ، عادت تلك السورة الكامنة فغدتْ وأنجزت في الأبن الكريم ما وعدتْ . اذ تحقق فعلاً مُرادها وقتل الإمام الحسن عليه السلام مسموماً .

الظفر بالمنية والموت يختلف من شخص لاخر ، لكن المنية عندهم أهل البيت ظفر وفرحة وهذا ما أكدهُ أبن الأبار في تناصهِ الشعري مع أبي تمام في قوله :– (27)

ألا أن في ظفرِ المنيةِ مهجةٌ

تظل لها عين العُلى وهي تدمعُ

هذا السمو والرفعة في الأخلاق ، منهلُها النبي ﷺ فعندما سما الأمام الحسن عليه السلام وأعرض عن معاقبة (الزوجة المتآمرة) ، فهو مُتابع لجده ﷺ في هذا يقول :– (28)

سما الحسن بأعراضه عمن سمه وما صرف لاعتراضه همهُ علماً بأن أباه الأكبر ما زالت تعاوده أكلة خيبر ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده .

يقول مُتابعاً أحداث القصة ، يا جُعدة أودي بك الملك الجعد وأُبدي لك من خلفه الوعد ((لله الامر من قبل ومن بعد)) (29) ، وفي هذا التناص القرآني المباشر إشارة أُخرى ألى أن الذي جَرى ويجري لأهل البيت هو بعلمٍ من الله ﷻ والأمرُ لهُ من قبلٍ ومن بعدٍ . يحاول ابن الابار طرح مشاعره الصادقة ازاء موقف الخيانة فيعمد الدعاء على المتسبب في ذلك بقوله :- (30)

ولا مائك أبقيت ، ولا درنك انقيت ، هلاّ خفت العاقبة وأتقيت . مُختتماً فصله بتناصٍ مع الشاعر صالح بن القدوس بقوله :- (31)

لا يبلغُ الاعداءُ من جَاهلٍ

مايبلغُ الجَاهلُ من نفسهِ

وفي هذا البيت دلالة واضحة إلى أن الجهل الذي لحق بجعدة جاء من استعدادها للخيانة ، وإلا لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ مثلما يبلغ الجاهلُ من نفسهِ . وأخيراً يتداخل مع بيتين لأبي تمام يحاول فيهما أن يلخص بشكل مكثف ما جرى مع السبط الأكبر لرسول الله (ص) يقول :- (32)

لئن هي أهدت للأقارب ترحة

لقد جللت تراباً خُدود الأباعدِ

فما جانب الدنيا بسهلٍ ولا الضحى

بطلق ولا ماء الحياة ببارِدِ

يقول ابن الأبار في موضع آخر :- (33)

إلى البتول سُير بالشرف التالد وسِيق الفخر بالأم الكريمة والوالد حلت في الجيل الجليل وتحلت بالمجد الأثيل ثم تولت إلى الظل الظليل .

يعد هذا الفصل أقصر الفصول التي وردت في كتاب الدُرر ولعلها أوجزها ، يتحدث فيها القضاعي عن السيدة الزهراء عليها السلام مستخدماً كنية لها (البتول) موجزاً ما آل أليها من الشرف الباقي (التالد) وكيفية مآله إليها عليها السلام . بعد هذا العرض الموجز والدقيق راح يردفنا ببيت شعري أستعاره من أبي الطيب المُتنبي يقول فيه :- (34)

وليس يصحُ في الأفهام شيءٌ

إذا احتاج النهار إلى دليل

فضوء النهار لا يحتاج إلى دليل كي نفهم بأنه النهار ، ولعل هذا الرد لكل من تلتبس عليه الأمور ويعمد إلى التشكيك في أمرها عليه السلام .

من شواهده الأخرى قوله :- (35)

أقتسم السبطان ، على رغم أنف جدهما وخُلق أبيهما الوصي ، فُردي أكبرهما بما أُذي بهِ الأكبر ولقى أصغرهما الموت الأحمر .

وأنَّا لقوم ما نرى القتل سبةً

إذا ما رأته عامرٌ وسلول (36)

تبع الأول في ذلك الآخر وخاض في بحر الهول وهو زاخر .

في هذا الموضع يأخذ ابن الأبار شخصيتان الأولى شخصية الإمام الحسن عليه السلام والثانية شخصية الأمام الحسين عليه السلام جامعاً لهما بلفظة (السبطان) كما هو المتعارف والمتواتر لدى المسلمين ، أذ يقول : أن هذان السبطان قد اقتسما خلق جدهما وأبيهما على رغم أنف

الشيطان ؛ وفي هذا دلالة عميقة على أن العداء لأهل البيت عليهم السلام ليس من البشر فقط ، بل من الشيطان نفسهُ . وباستعمال أسلوب الكناية البديع لا يشير صراحة إلى ما يريد تبيانه بل يعمد إلى استخدام ألفاظ لها علاقة بهما [جدهما ، الوصي ، الأكبر ، الأصغر ، الموت الأحمر ...] .

إذن الموت الذي تراه قبائل عامر وسلول ، فأنه عند أهل البيت سجية ومكرمة يقدمون عليها برحابة صدر .

ثم يتابع فصله بقوله :- (37)

كانت مآتمٌ بالعراقِ تعدُها

أمويةٌ بالشامِ من أعيادها

فكيف تؤسى الكلام ، أو يتأسى الإسلام .

حقيقة ماذا عساه أن يقول الكلام كي يقدم الأعذار ، وكيف لمن يواسي الأسلام ماذا عساه يقول هو الآخر . هذه الخلاصة البليغة التي قدمها لنا ابن الأبار حاول أبتداءً أن يلملم جراحاتها والآمها ببيت للشريف الرضي .

من الأمثلة الزاخرة بالجمال الأدبي قوله :- (38)

تذامروا ، والردى موجه يلتطم ، وتوامروا والقنا يكسر بعضه بعضاً ويحتطم ، فأن يكونوا ما عرجُوا في مراقي المُلك ، فقد درجوا في مهاوي الهلك .

ونحن أُناس لا توسط عندنا

لنا الصدر دون العالمين أوالقبرُ (39)

يستعمل ابن الأبار أسلوب الأستعارة التجسيدية ، في خلق صورة للردى (الموت) ، أذ جعلهُ كالبحر المتلاطم بالقنا التي يكسر بعضها بعضاً ، وهذا التلاطم مؤداه أما العروج إلى مراقي المُلك أو الدروج إلى مهاوي الهلك ؛ مع هذا الأرتقاء في التعبير لكنه أستنجد ببيت لأبي فراس الحمداني ، ليؤكد ما بدأه أصلاً ، ولكن بنفس شعري هذه المرة .

ثم يتابع فصله بقوله :- (40)

وعلى هذا فقد نجموا ونجبوا ، مع الحتوف الشداد والسيوف الجداد والتمرُ أنمى على الجداد ما أعجب كلمة أبيهم ، ظهر صدقها فيهم ، بقية السيف أنمى عدداً وأنجب ولداً .(41) ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً)) (42) رضوا في ذاته ، فمشوا إلى الموت ركضاً أنا والله لا نموت حجاً كما يموت بنو مروان .

تسيلُ على حدِّ الضباة نفوسنا

وليست على غير النفوس تسيلُ (43)

نلاحظ أن ابن الأبار كي يبرز شجاعة أهل البيت عليهم السلام ، قرن كلامه بنصين أثنين : -

الأول / قوله ((التمر أنمى على الجداد ما أعجب كلمة أبيهم ، بقية السيف أنمى عدداً وأنجب ولدا)) . أراد أن يقول أن التمر ينمو ويزداد ويتكاثر كلما قُطف ، مقارناً هذه الصورة بصورة أُخرى من نهج البلاغة ((بقية السيف أنمى عدداً وأنجب ولداً)) مستدلاً بها ومقارناً بها في الوقت نفسه . هذه المقارنة لم يكتفِ فيهاإلى هذا الحد بل أتى بنص من القرآن الكريم بصورة مباشرة ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً)) ، فالإشارة القرآنية في هذا الموضع أكسبت النص كثافة تعبيرية ، وجمالية في امتزاج الصور التي جاءت تارة على لسانه ، وتارة على لسان الأمام علي (عليه السلام) ، وتارة كلام البارئ (عز وجل) .

إذن فرضاهم في الله ومحبتهم له جلَّ جلاله ، جعلهم يركضون إلى الموت ركضاً دون خوفٍ أو وجلٍ . فهم يقسمون بأنهم لن يموتوا كما ماتوا بنو مروان بالتخمة ؛ نتيجة لأكلهم وأسرافهم في بيت المال . مختتماً فصله بتداخل لبيت شعري للسموأل ، مفاده أن تلك النفوس الزكية لأهل البيت (عليهم السلام) لاتسيل ألا على السيوف ، وفي ذلك كناية عن عظمة الموت الذي يتمنونه . وبذلك نجد أن التناص قد تحقق من خلال التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى ...فهو النقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة . (44)

من الأمثلة الأخرى قولهُ : – (45)

ثم جعل بين الخوف والرجاء ، لايقلب وجهه في السماء ألا تعرض له في تلك الصورة وعرض عليه ما أعطاه الله من السورة ، فيقف موقف التوكل ويمسك حتى عن التأمل .

تتوق أليك النفس ثم أردُّهَا

حياءً ومثلي بالحياءِ حقيقُ

أذودُ سوادَ الطرفِ عنكَ ومالهُ

إلى احدٍ ألا إليك طريقُ (46)

هنا الحديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)عندما ناجاه الوحي ، أذ جُعل (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الخوف والرجاء وهما موضوعين قلقين موضوع الخوف والدهشة التي أصابت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين الرجاء لما هو آتٍ منهُ تعالى وكأنما ابن الأبار أراد أن يجد حيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأستعان ببيتين من الشعر لقيس بن ذُريح ، عكست حالة المحب العاشق الذي يكون بين أمرين اشتياق النفس إلى حبيبها وأرتداد الطرف أليه .

في موضع آخر يقول :- (47)

وفطنتْ خديجة لاحتباسهِ ، فأمعنت في التماسهِ (تزوجوا الودود الولود) ولفورها بل لفوزها بعثت في طلبه رسلها ، وانبعثت تأخُذ عليه شعاب مكة وسُبُلَهَا . أن المحب إذا – ما – لم يزر زارا .

طال عليها الأمد فطار اليها الكمد والمحب حقيقة من لا يفيقُ فيقه بالنفس النفيسة ، سماحه وجوده وفي وجوه المحبوب الأشرف وجودهُ .

هنا يجسد لنا الحالة التي وصلت إليها من تعلقها بالنبي ﷺ ، وكيف أنها بعثت في طلبها رسلها ، ثم يصف حالة الأنتظار التي تضيق على المحب وتجعله في حيرة من أمره ، خاصة أذا كان المحبوب هو الأشرف وجوداً ملخصاً فيها حالة السيدة خديجة عليها السلام ، يقول رابطاً ما قاله بمقطوعة للمجنون يقول فيها :- (48)

كأن بلاد الله ما لم تكن بها

وأن كان فيها الخلق طراً بلاقعُ

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى

ويجمعني والهم بالليل جامعُ

نهاري نهار الناس حتى أذا دجا

في الليل هزتني أليك المضاجعُ

لقد ثبتت لك في القلب منك محبةٌ

كما ثبتت في الراحتين الأصابعُ

وهي أبيات قمة في بابها تعكس حالة المحب الصادقة .

من تداخلاته قوله :- (49)

لكن أمير المؤمنين علياً، رفعه الله مكاناً علياً ،أم أمه وأباه ، ونادى كل من أختدعهُ وأستواهُ (أفٍ لكم وما تعبدون من دون الله) ماتلبس بطاعة أو ثانٍ وأصنامٍ ولا قصر نفسه وحبس على صلاةٍ وصيامٍ . وشن على الكفر غارة الإبادة وشب يألف عادة العبادة ((يعجب ربك من شاب ليس له صبوة)) . برع بفضل الطبع

وقرع النبع بالنبع إذ وفى الحق المطاع وأوفى الكفر بالصاع (فطفق مسحاً بالسوق والاعناق) .

لو تنعمنا النظر في هذا الفصل لوجدنا التعالقات تجاذبنا من كل ناحية ، فالتداخل القرآني جاء بيناً في قوله تعالى ((أف لكم وما تعبدون من دون الله))(50) ، وهو تناص مباشر مع القرآن الكريم هذا التداخل النصي تداخل مرة أخرى مع نوع آخر وهو الحديث النبوي الشريف في قوله ((يعجب ربك من شاب له صبوة))(51) ،هذه الأخلاق الكريمة والصفات الرائعة يتابع عرضها ابن الأبار بقوله ((فطفق مسحاً بالسوق والأعناق)) (52) ، وذلك في وصف سيف الإمام الذي أعطى الكافرين حقهم من القتل متابعاً وصفه بقوله : ماعردٌ ولا عَرَج ولا تحرك يرجع من إليه خَرَجَ :

علي ليس يمنع من مجيء

مبارزه ويمنعه الرجوعا

عليٌ قاتل البطل المفدى

ومبدله من الزرد النجيعا (53)

إذ عمد إلى التداخل الشعري مع بيتين لأبي الطيب المتنبي ، فيهما إفادة وفائدتها أن هناك أسم صريح للممدوح ، وأن كان شخصاً آخر إلا أنه أستفاد من ذلك ، والإفادة أنه خدم قضية الشجاعة التي يتصف بها الإمام علي عليه السلام من ناحية أخرى .

يتابع قوله :- (54)

بطش في كل كفاح بالإقران وانسى مواضي الهند وعوالي المُرّان والله وثباتهُ ، صدراً في كل قلبٍ وقلباً في كل صدرٍ ، فآخاه المختار (وربك يخلق ما يشاء ويختار) كفل أبو طالب كفالة الأب ، فنزل علياً منزلة الأخ (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) .

هنا يتداخل مع مجريات الأمور السياسية التي حدثت في زمن الأمام عليه السلام ، متحدثاً بصورة رمزية أكثر منها تصريحية عن دور الأمام علي عليه السلام في معركة بدر الذي لا يدانيه أحد . (55)

مشيراً إلى مؤآخاة الرسول ﷺ للأمام علي عليه السلام (56) ، سانداً حديثه بتناص مباشر مـــــــــع

القرآن الكريم في قوله ((وربك يخلق ما يشاء ويختار)) (57) ، فكفالة أبو طالب للنبي ﷺ ، جعلت الأمام علي عليه السلام ينزل منزلة الأخ للنبي ﷺ ؛ وفي ذلك أشارة واضحة لحديث المنزلة ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) (58) . خاتماً كلامه بتداخل مع القرآن الكريم ((هل جزاء الأحسان إلا الأحسان)) (59) ، وكأنما أراد أن يقول أنه من المفترض أن يكون جزاء هذا الأنسان العظيم الذي هو الإمام عليه السلام ، أن يكون أحساناً مثل مواقفه وبطولاته التي خلدها التاريخ .

الخاتمة

في نهاية رحلتنا التي خضناها معاً في غمار بحثنا (التداخل النصي في النثر الأندلُسي كتاب دُرر السمط في خبر السبط لابن الأبار أنموذجاً) توصلنا إلى جملة من النتائج نحاول توضيحها بالنقاط التالية :-

1- أن ظاهرة التداخل النصي ، ظاهرة عامة في عموم الأدب شعراً كان أم نثراً ، علماً ان هذه الظاهرة ليس بالجديدة أو الطارئة على أدبنا العربي عامةً والأندلُسي خاصةً ، بل هي متجذرة ومتعمقة في تراثنا العربي ابتداءً من التسميات القديمة المعروفة بالسرقة ، الأخذ ، التضمين ، ومروراً بالتسميات الحديثة التناص ، التعالق النصي ،المتعاليات النصية ، العتبات النصية ، الميتناص ، التداخل النصي . هذا ومن المحتمل أن تطرأ تسميات أخرى ، لكن النتيجة الأخيرة تصب في خانة واحدة هي قضية التماس وأخذ نصوص من المعاصر أو القديم ، وصبها في قالبها الجديد كي تضيء أضاءة ربما غفلنا عنها في مضانها الأصلي .

2- أن قضية التداخل النصي ليست طارئة أو أعتباطية أو حشوية (زائدة) ، بل العكس من ذلك ، اذ وجدنا أن ابن الأبار القُضاعي الأندلُسي لم يستخدم أي من هذه التداخلات النصية على المستويين القرآني والشعري الا لهدف معين ، كأن يكون اسناداً للنص الذي ألفهُ أو يكون اضاءة أكثر للملتبس أو الشاك ، وقد تكون توضيح لأمور معينة .

3- أن ابن الأبار الأندلُسي قد جعل القرآن الكريم نصب عينيه ، أذ أنه تداخل معه بشكلٍ مباشر وغير مباشر وقد بلغت الإحصائية التي أجريتها على كتاب دُرر السمط في خبر السبط خمس وأربعون

تداخلاً قرآنياً مباشراً ، و ثلاثون تداخلاً قرآنياً غير مباشر .

4- أن تداخلات الأباري لم تتوقف عند صعيد القرآن الكريم ، بل أنه كان على تماس واضح وتأثير عميق على مستوى الحديث النبوي الشريف وقد بلغ أحصائُنا له ثلاث وعشرون حديثا نبوياً توزعت على قسميه المباشر وغير المباشر . أيضاً تداخل مع الحكم تارة ومع الأمثال تارة أخرى الأمر الذي يدل على القدرة القرائية الكبيرة والذاكرة البعيدة التي تستطيع أن تستجلب معلوماتها بما يناسب الموضوع .

5- أن ابن الأبار الأندلُسي لم يأخذ من جيل معين كأن يكون الجيل الاول (العصر الجاهلي) أو الجيل الثاني (العصر الاسلامي) أو الجيل الثالث (العصر العباسي) المعاصر له ، بل تداخل مع كل العصور وكل الأجيال . فأخذ من الجاهلي أُمرئ القيس وقيس بن ذُريح (مجنون لبنى) ومجنون ليلى والنابغة الذبياني ، وأخذ من الإسلامي حسان بن ثابت والعباس بن عبد المطلب ، وأخذ من العباسي أبي الطيب المتنبي وأبي تمام البحتري وأبي العتاهية والشريف الرضي وأبي فراس الحمداني والسموأل .وابن المعتز والقائمة ، وفي هذا ما ينم عن اطلاع عميق لجذور الأدب العربي وتأثر واضح الأمر الذي تتداخل معه الأمور وتستدعي بعضها بعضاً .

قائمة الهوامش

1-ينظر : تجليات التناص في الشعر العربي : 28-29.

2- تحليل الخطاب : 121.

3- ينظر : ظاهرة الشعر العربي المعاصر : 285.

4-الخطيئة والتكفير : 57.

5-التناص تزفيتان تودروف : 5 .

6-التناصية ، بحث في أنبثاق حقل مفهومي وأنتشاره : 69.

7–نظرية النص : 96.

8–الحكاية في رسائل أخوان الصفاء : 241.

9 – ينظر : قراءات في الأدب والنقد : 106.

10 – درر السمط في خبر السبط : 138 – 139

11– شرح ديوان المتنبي : ج 3 / 163

12 – مقاتل الطالبيين : 69

13– درر السمط في خبر السبط : 140

14– ينظر مقاتل الطالبيين : 72

15– درر السمط في خبر السبط : ص 88

16– ديوان المتنبي : ج 3 / 149

17– درر السمط في خبر السبط : 129

18– ديوان ابي العتاهية : 311.

19– ينظر : مروج الذهب : 3/ 6

20– سورة المائدة 5 : 67

21– ينظر : فتح الباري 1 : 38 .

22– ينظر : درر السمط في خبر السبط : 130

23– نفسه

24– سورة الصف : 61 : 8 .

25– ينظر : الصوفية في الشعر العربي المعاصر : 156

26- درر السمط في خبر السبط : 130

27- ديوان أبي تمام : 324 .

28- ينظر : درر السمط في خبر السبط : 132 .

29 – سورة الروم 30 : 4

30 – درر السمط في خبر السبط :132

31- ينظر : نهاية الأرب في فنون الأدب : 3: 82 .

32- ديوان أبي تمام : 317 .

33- درر السمط في خبر السبط :103.

34- شرح ديوان المتنبي ج 3 : 215.

35- درر السمط في خبر السبط : 134

36- ديوان الحماسة لأبي تمام ص 21 .

37 – ديوان الشريف الرضي : 391 .

38 – درر السمط في خبر السبط ص 85 .

39 – ديون أبي فراس الحمداني : ص 14 .

40 – درر السمط في خبر السبط : 86 .

41- ينظر نهج البلاغة : 643 .

42- سورة آل عمران 3: 169 .

43- ينظر ديوان الحماسة لأبي تمام : 1/ 499.

44- ينظر : في اصول الخطاب النقدي الجديد : 102 .

45- درر السمط في خبر السبط : 93 – 94 .

46- ديوان قيس ابن ذريح : 33 وينظر الأغاني : 3/ 203 .

48- درر السمط في خبر السبط : 94.

49- ديوان المجنون : 185.

50 – سورة الأنبياء : 21 : 67 .

51- ينظر : الجامع الصغير : 4 : (5) .

52- سورة ص : 38: 33 .

53- شرح ديوان المتنبي : ج : 362 .

54- ينظر درر السمط في خبر السبط : 118 .

55- ينظر : طبقات أبن سعد 3: 22 .

56- ينظر في موآخاة الرسول للأمام علي عليه السلام الاستيعاب : 3 : 1089 و1099 .

57- سورة الصف : 28 – 68 .

58 –ينظر : الاستيعاب 3 : 1089 وينظر الإصابة 4 : 271 .

59 –سورة الرحمن : 55 : 60 .

قائمة المراجع والمصادر

1- القرآن الكريم

2- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبن عمر أبن عبد البر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، مطبعة نهضة مصر .

3- الإصابة في معرفة الصحابة لأبن حجر العسقلاني ، القاهرة ، 1323هـ .

4- الأغاني لأبي فرج الأصبهاني ، طبعة بيروت ، دار الفكر .

5- تجليات التناص في الشعر العربي ، النص الغائب ، د- ط ،منشورات دار أتحاد الكتاب العرب ، دمشق .

6- تحليل الخطاب محمد مفتاح ، ط3 ، المركز الثقافي ، 1992 م .

7- التناص تزفتيان تودروف – ترجمة فخري صالح – مجلة الثقافة الأجنبية ، ع 4 ، السنة الثامنة ، دار الشوؤن الثقافية العامة ، 1988م .

8- التناصية بحث في أنبثاق حقل مفهومي وأنتشاره ، أفاق التناصية ، المفهوم والمنظور ، ترجمة وتقديم محمد خير البقاعي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1998م .

9- الحكاية في رسائل أخوان الصفاء دراسة سيميائية في السرد والتأويل ، منشورات أبداع النجف الأشرف ، 2009م .

10- الخطيئة والتكفير : من البنيوية الى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج أنساني معاصر – مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية ، عبد الله الغذامي ، ط1،1985م ،النادي الأدبي الثقافي في جدة .

11- ديوان أبي العتاهية ، بيروت ، المطبعة الكاثولوكية ،1914م .

12- ديوان أبي فراس الحمداني ، سامي الدهّان ، بيروت ،1944م .

13- ديوان الحماسة لأبي تمام (ط . العلمية) ،حبيب أبن أوس الطائي أبو تمام 231هـ ،تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، برواية الجواليقي 540هـ .

14- درر السمط في خبر السبط لأبن الأبار الأندلسي 1199هـ –1260م ،تحقيق أبو الفتح دعوتي ، عبد السلام الهرّاس ،سعيد أعراب ، عز الدين موسى ، مؤسسة الهدى الدولية ، ط1 .

15- ديوان الشريف الرضي ، ج 2 ، بيروت – لبنان ، 1961م .

16- ديوان قيس بن ذُريح ، أعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 2 ، 1425هـ – 2004 م .

17- ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الجبار فّراج ، القاهرة .

18- شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العرب بيروت – لبنان 1407هـ – 1986م .

19- الصوفية في الشعر المغربي ، محمد بنعمارة ، شركة النشر والتوزيع ، المدارس ، ط1 ، المغرب ، 2001.

20- الطبقات الكبرى لأبن سعد ، تحقيق أحسان عباس ، 1388هـ .

21- ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب ، محمد بنيس ، ط2 ، دار التنوير بيروت .

22- في أصول الخطاب النقدي الجديد ، تز فتيان تودروف وآخرون ، ترجمة أحمد المديني ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، 1987م .

23- قراءات في الأدب والنقد ، د. شجاع مسلم العاني ، منشورات أتحاد الكتاب العربي ، 1999 م .

24- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن المسعودي ، ج 4، المكتبة التجارية ، 1964م، 1965م.

25- مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصفهاني 284هـ – 356هـ ، قدم له وأشرف على طبعه كاظم المظفر ، ط2 ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم ، إيران ، النجف ، 1965 م

26- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ، ج 18 ، القاهرة دار الكتب ، 1929 ، 1955.

27- نهج البلاغة ، شرحهُ الإمام الأكبر محمد عبده ، ط1 ، منشورات قم– ايران ، 2004م .

abstract

The book durer scalding in the newes tribe of the most important works of apn al – abaar alblenci andalusiay studied the imbortant phenomenon of modern phenomera , but aphenomnon that overlap the text or other words or entertextuality correlation scribt.